مجلة البحوث الأكاديمية (العلوم الإنسانية) العدد 28 المجلد 2، السنة 2024 "152-162"

الأعداد في كلام خير العباد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-
[نماذجُ وتأملات]

إبراهيم سالم ثبوت
الجامعة الأسمرية الإسلامية، التفسير والحديث، ليبيا
eb.thbot@asmara.edu.ly

استلمت الورقة بتاريخ 2024/12/11،وقبلت بتاريخ 2024/12/21 ونشرت بتاريخ 2024/12/24

الكلمات المفتاحية: الْعَدُّ، الأعداد، الخِطَابُ النَّبَوِيُّ، نماذِجُ، تَأَمُّلَاتٌ

الملخص

تَمَيَّزَ الخِطَابُ النَّبَوِيُّ بِسِمَاتٍ عَدِيدَةٍ، وَخَصَائِصَ فَرِيدةٍ، ولِذَا أَوْلَى الْعُلَمَاءُ أَلْفَاظَهُ بالِاهتمامِ والعِنايةِ؛ فَدَوَّنُوا الحديثَ النَّبَوِيَّ الشَّرِيفَ، واستَنْبَطُوا منه الأَحْكَامَ الشَّرعيَّةَ.

ومِمَّا يَلْفِتُ نَظَرَ المُتَأَمِّلِ في أحاديثِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- اسْتِعْمَالُهُ لِلْأَعْدَادِ والأرقامِ؛ أَثْنَاءَ التَّعْبِيرِ والكلامِ؛ لَا سِيَّمَا الْقَلِيلَةُ مِنْهَا؛ كَالِاثْنَيْنِ، والثَّلَاثَةِ، والأربعةِ، والخمسةِ، والسِّتَّةِ، والسَّبعةِ.

وقد بَيَّنْتُ في هذا البحثِ أَهَمَّ سِمَاتِ الخِطابِ النَّبَوِيِّ، وَذَكَرْتُ أَهَمِّيَّةَ الْعَدِّ والأعدادِ في كلامِ النُّبُوَّةِ، ثُمَّ جَمَعْتُ طائِفَةً مِنَ الأحاديثِ النَّبَوِيَّةِ؛ الَّتِي وَرَدَ فيها ذِكْرٌ لِلأَعْدَادِ، وَرَصَدْتُ على إِثْرِ ذلك بَعْضَ التَّأَمُّلَاتِ المُتَعَلِّقَةِ بهذه الأعدادِ.

وَقَدْ خَلَصَتِ الدِّرَاسَةُ إلى نتائجَ، مِنْ أَهَمِّهَا: تَمَيُّزُ كَلَامِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِصِفَاتٍ عَظِيمَةٍ، وَسِمَاتٍ عَالِيَةٍ، وَأَنَّ لِلْعَدِّ في الخِطَابِ النَّبَوِيِّ أَهَمِّيَّةً بالِغَةً؛ تَتَمَثَّلُ فِي تَنْبِيهِ السَّامِعِ، وَتَشْوِيقِهِ لِمَضْمُونِ المَعْدُودِ؛ لِيَسْعَى إِلَى تَحْصِيلِهِ وَفَهْمِهِ، وأَنَّهُ يُقَرِّبُ الْمَعَانِيَ إلى أَذْهَانِ السَّامِعِينَ، وَيُثِيرُ اهْتِمَامَهُمْ، وَيُوقِظُ مَشَاعِرَهُمْ.

كَمَا اسْتُنْتَجَتِ الدِّرَاسَةُ أَنَّ الأعدادَ فِي الأحاديثِ شَمِلَتْ مُعْظَمَ مَسَائِلِ الدِّينِ؛ مِنَ الْغَيْبِيَّاتِ، والْقَصَصِ النَّبَوِيِّ، والتَّرْغِيبِ والتَّرْهِيبِ، وأَحْكَامِ التَّشْرِيعِ... وَغَيْرِهَا، وَأَنَّ هَذِهِ المَعْدُودَاتِ الَّتِي تُذْكَرُ في الأحاديثِ غَالِباً مَا تَجْمَعُ بَيْنَ المُتَمَاثِلَاتِ؛ لِإِثَارَةِ الذِّهْنِ فِي الرَّبْطِ بَيْنَهَا، وَلِتَأَمُّلِ أَوْجُهِ الشَّبَهِ فِيهَا.

وَأَوْصَتِ الدِّرَاسَةُ بِضَرُورَةِ تَعْرِيفِ النَّاسِ بِأَهَمِّيَّةِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، وَتَعْلِيمِ النَّاشِئَةِ حُسْنَ الِاقْتِدَاءِ بِالنَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في خِطَابِهِ وَدَعْوَتِهِ، وإِقْنَاعِهِ لِلْآخَرِينَ، وَتَحْفِيزِ الجِهَاتِ المَعْنِيَّةِ بالبحثِ الْعِلْمِيِّ لِإِقامةِ النَّدَوَاتِ العِلْمِيَّةِ؛ الَّتِي تُعْنَى بِبَيَانِ الخِطَابِ النَّبَوِيِّ، واسْتِنْبَاطِ الْفَوَائِدِ مِنْهُ فِي شَتَّى المَجَالَاتِ، وَحَثِّ الدُّعَاةِ وَطَلَبَةِ الْعِلْمِ عَلَى التَّأْلِيفِ فِي مَكَانَةِ الْعَدِّ فِي الخِطَابِ النَّبَوِيِّ، وإِظْهَارِ مَقَاصِدِهِ وَأَغْرَاضِهِ، وَدَوْرِهِ فِي التَّأْثِيرِ على السَّامِعِينَ.

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا. مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ فإِنَّ اللهَ -جَلَّ وَعَلَا- قد بَعَثَ نَبِيَّهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، وَاخْتَارَهُ لِرِسَالَتِهِ، واصْطَفَاهُ لِدَعْوَتِهِ، وَخَصَّهُ بِخَصَائِصَ لَمْ يُعْطِهَا لِنَبِيٍّ قَبْلَهُ.

وَمِنْ أَجَلِّ خَصَائِصِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما أُوتِيَ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَبَدَائِعِ الْوَصَايَا وَالْحِكَمِ. فَكَلَامُهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هُوَ ذُرْوَةُ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ كَلَامُ الْعَرَبِ مِنَ الْفَصَاحَةِ والبلاغةِ والبَيَانِ، وَهُوَ «الْكَلَامُ الَّذِي قَلَّ عَدَدُ حروفِهِ، وَكَثُرَ عَدَدُ مَعَانِيهِ، وجَلَّ عَنِ الصَّنْعَةِ، ونُزِّهَ عَنِ التَّكَلُّفِ»،[1] شَهِدَ لَهُ بِذَلِكَ أَسَاطِينُ الْبَلَاغَةِ، وَأَرْبَابُ الْفَصَاحَةِ.

يَقول ابنُ الْقَيِّمِ[2] -رحمه الله-: «كَانَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَفْصَحَ خَلْقِ اللَّهِ، وَأَعْذَبَهُمْ كَلَاماً، وَأَسْرَعَهُمْ أَدَاءً، وَأَحْلَاهُمْ مَنْطِقاً؛ حَتَّى إِنَّ كَلَامَهُ لَيَأْخُذُ بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ، وَيَسْبِي الْأَرْوَاحَ، وَيَشْهَدُ لَهُ بِذَلِكَ أَعْدَاؤُهُ».[3]

كَيْفَ لَا وَقَدْ زَكَّى اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- مَنْطِقَهُ؛ فَقَالَ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾؟![4]

---

(1) البيان والتبيين؛ للجاحظ، (17/2).
(2) هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد؛ الزُّرْعيُّ الدمشقيّ، المتوفى سنة (751ه). ترجمته في الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة؛ لابن حجر (137/5)، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع؛ للشوكاني (143/2).
(3) زاد المعاد في هدي خير العباد؛ لابن القيم (175/1).
(4) سورة النجم، الآيتان 3، 4.

وَلِذَا أَوْلَى الْعُلَمَاءُ أَلْفَاظَهُ بِالِاهْتِمَامِ وَالْعِنَايَةِ، وَأَحَاطُوهَا بِالصِّيَانَةِ وَالرِّعَايَةِ؛ فَدَوَّنُوا الْحَدِيثَ النَّبَوِيَّ الشَّرِيفَ، وَاسْتَنْبَطُوا مِنْهُ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ، وَالْآدَابَ الْإِسْلَامِيَّةَ، وَالتَّعَابِيرَ اللُّغَوِيَّةَ السَّامِيَةَ، وَالْأَلْفَاظَ الْخِطَابِيَّةَ الرَّاقِيَةَ؛ لِتَقُومَ بِأَلْفَاظِهِ الْحُجَّةُ، وَتَتَّضِحَ بِتَعَابِيرِهِ الْمَحَجَّةُ.

وَمِمَّا يَلْفِتُ نَظَرَ الْمُتَأَمِّلِ فِي أَحَادِيثِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- اسْتِعْمَالُهُ لِلْأَعْدَادِ والْأَرْقَامِ؛ أَثْنَاءَ التَّعْبِيرِ والْكَلَامِ؛ لَا سِيَّمَا الْقَلِيلَةُ منها؛ كَالِاثْنَيْنِ، والثَّلَاثَةِ، والْأَرْبَعَةِ، والْخَمْسَةِ، وَالسِّتَّةِ، والسَّبْعَةِ.

وَقَدْ عَزَمْتُ فِي هَذَا الْبَحْثِ مُسْتَعِيناً بِاللَّهِ أَنْ أَجْمَعَ طَائِفَةً مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيّةِ الشَرِيفَةِ؛ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا ذِكْرٌ لِأَحَدِ هَذِهِ الْأَرْقَامِ، ثُمَّ أَرْصُدَ عَلَى إِثْرِ ذَلِكَ بَعْضَ التَّأَمُّلَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَذِهِ الْأَعْدَادِ؛ سَائِلاً مِنَ اللَّهِ التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ.

سبب اختيار الموضوع:

1. الْوُقُوفُ عَلَى خَصَائِصِ الْأُسْلُوبِ النَّبَوِيّ، وَدَوْرِهِ فِي التَّأْثِيرِ عَلَى السَّامِعِين.
2. بَيَانُ أَهَمِّيَّةِ الْعَدِّ فِي الْخِطَابِ النَّبَوِيّ، وَإِظْهَارُ مَقَاصِدِهِ وَأَغْرَاضِهِ.
3. بَيَانُ بَعْضِ التَّأَمُّلَاتِ فِي الأحاديثِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى الْأَعْدَادِ الْقَلِيلَةِ؛ لِيَسْتَفِيدَ مِنْهَا الْمُسْلِمُ فِي عِبَادَتِهِ لِرَبِّهِ.
4. قِلَّةُ الْكِتَابَاتِ وَالْبُحُوثِ وَالرَّسَائِلِ فِي بَيَانِ مَكَانَةِ الْعَدِّ والْعَدَدِ فِي الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ.

الدراسات السابقة:

لم يُكْثِرِ الْمُتَقَدِّمُونَ -مِنْ شُرَّاحِ الحديثِ وَغَيْرِهِم- مِنَ التَّصْنِيفِ في بَيَانِ عُلُوِّ قَدْرِ كَلَامِ النُّبُوَّةِ.

وَذَلِكَ -مِنْ وِجْهَةِ نَظَرِي- يَرْجِعُ إِلَى سَبَبَيْنِ:

الأوَّلُ: لَمْ يَظْهَرْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يُنْكِرُ ذَلِكَ؛ فَهُوَ ثَابِتٌ لَدَا الجميعِ، والثَّابِتُ لا يَحْتَاجُ إلى إِثْبَاتٍ.

الثَّانِي: أَنَّ هِمَمَهُمْ كَانَتْ مُنْصَرِفَةً إِلى شَرْحِ معاني الْمُفْرَدَاتِ، واسْتِنْبَاطِ الأحكامِ الشَّرْعِيَّةِ منها.

وَهَذَا لا يَعْنِي أَنَّهُمْ لم يَتَطَرَّقُوا إليهِ الْبَتَّةَ؛ بَلْ وُجِدَتْ فِي كِتَابَاتِ الْمُتَقَدِّمِينَ إِشَارَاتٌ إلى عُلُوِّ كَعْبِ كَلَامِ النُّبُوَّةِ، وَسُمُوِّ شَأْنِهِ، وَأَنَّهُ يَأْسِرُ الْأَفْئِدَةَ، وَيَأْخُذُ بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ.[1]

أَمَّا فِي الْعَصْرِ الحَدِيثِ فَقَدْ كَثُرَتِ الدِّرَاسَاتُ الَّتِي تُعْنَى بِبَلَاغَةِ التَّعْبِيرِ النَّبَوِيّ، وَتَنَوَّعَتْ مَقَاصِدُهَا.

وَمِنْ هذه الدِّرَاسَاتُ ما لَهُ صِلَةٌ بِمَوْضُوعِ بَحْثِنَا، نَذْكُرُ مِنْهَا:

1. المعنَى البَلَاغِيُّ لِلْعَدَدِ في الحديثِ النَّبَوِيّ؛ قَرَائِنُهُ، وَدَلَالَاتُهُ؛ للباحثة: مُنَى العسَّة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصاديَّةِ والقانونيَّةِ، المجلد 30، العدد الأول؛ لسنة 2014م.
2. مِنْ بَلَاغَةِ الْعَدَدِ غَيْرِ الْمُقَيَّدِ لِمَعْدُودِهِ فِي الْبَيَانِ النَّبَوِيّ؛ دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ؛ أَحَادِيثُ الصَّحِيحَيْنِ نَمُوذَجاً؛ للباحث: أحمد محمود محمد الجبالي، مجلة كليةِ اللغة العربية بإتاي البارود، المجلد 32، العدد 2؛ لسنة 2019م، الصفحات [1445-1552].
3. مِنْ بَلَاغَةِ تَوْظِيفِ الْعَدَدِ فِي أَحَادِيثِ َحِيحِ البخاريّ؛ للباحثة: عائشة بنت عودة رشيد الزراع العطوي، مجلة العلوم العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد 2، العدد 68، لسنة 1445ه.
4. لُغَةُ الأرقامِ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ؛ لمحمد مختار جمعة، وزيرِ الأوقافِ المصرية، مَقَالٌ نُشِرَ في جريدة الأهرامِ الْمِصْرِيَّةِ، يومَ الجمعة 25/رجب/1441ه، الموافق 2020/03/20م، العدد 48682.

مشكلة البحث:

تَتَمَثَّلُ مُشْكِلَةُ الدِّرَاسَةِ فِي الْأَسْئِلَةِ التَّالِيَةِ:

- مَا أهم سِمَاتُ الْخِطَابِ النَّبَوِيّ؟
- مَا أَهَمِّيَّةُ الْعَدِّ فِي الْخِطَابِ النَّبَوِيّ؟
- مَا أَهَمُّ النُّكَتِ الَّتِي تَسْتَوْقِفُ الْبَاحِثَ عِندَ تَأَمُّلِهِ لأسلوب الْعَدِّ في كلام خير العباد؟

أهداف البحث:

1. التعرف على أهم سمات الخطاب النبوي.
2. تَبْصِيرُ الشَّبَابِ وَلَفْتُ أَنْظَارِهِمْ إِلَى الِاهْتِمَامِ بِأقوالِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.
3. حَثُّ طَلَبَةِ الْعِلْمِ وَالْبُحَّاثِ والْمُؤَلِّفِينَ عَلَى التَّأْلِيفِ حَوْلَ أُسْلُوبِ الْعَدِّ فِي الْخِطَابِ النَّبَوِيّ؛ لِمَا لَهُ مِنْ دَوْرٍ فَعَّالٍ في فَهْمِ النُّصُوصِ، وَالتَّوْفِيقِ بَيْنَهَا، والتَّرْجِيحِ عِندَ التَّعَارُضِ.

منهج البحث:

اعْتَمَدْتُ في هذا البحثِ الْمَنْهَجَ الوَصْفِيَّ؛ لِلتَّعريفِ بِسِمَاتِ وَخَصَائِصِ الخِطَابِ النَّبَوِيّ، وَبَيَانِ أَهَمِّيَّةِ الْعَدِّ والْأَعْدَادِ فِي كَلَامِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

(1) بل وُجِدَتْ دراسةٌ مستقلةٌ للشريف الرضا بعنوان: (المجازات النَّبويّة)، تفردت ببيان بلاغته صلى الله عليه وسلم، وهو مطبوع.

كَمَا اعْتَمَدْتُ الْمَنْهَجَ الِاسْتِنْبَاطِيَّ؛ لِاسْتِخْرَاجِ بَعْضِ النُّكَتِ والْفَوَائِدِ الْمُسْتَنْبَطَةِ مِنْ أُسْلُوبِ الْعَدِّ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ. وَرَاعَيْتُ في كتابةِ البحثِ جَانِبَ التَّوْثِيقِ العِلْمِيِّ؛ مِنْ عَزْوِ الآياتِ القرآنيَّةِ إلى سُوَرِهَا ورقمِ آياتِهَا، والْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ إِلَى مَصَادِرِها؛ مَعَ تَوْثِيقِ النُّقُولاتِ وَنِسْبَتِهَا إِلَى قائليها، وَتَرْجَمَةِ الأعلامِ الواردِ ذِكْرُهُم في البحثِ؛ مَا عَدَا الأنبياءَ، والخلفاءَ الراشدينَ، وأَئِمَّةَ المذاهبِ، ونحوَهم.

خطة البحث:

اقْتَضَتْ طبيعةُ البحثِ أن يُقَسَّمَ إلى مُقَدّمَةٍ، وَمَبْحَثَيْنِ، وخاتِمَةٍ؛ على النحو التالي:

- المقدمة: وفيها: أهميةُ الموضوعِ، وسَبَبُ اختيارِهِ، والدراساتُ السابقةُ فيه، وإشكَالِيَّةُ البحثِ، ومَنْهَجُهُ، وَخُطَّتُهُ.
- المبحث الأول: الْعَدُّ فِي كَلَامِ النُّبُوَّةِ، وفيه مَطْلَبَانِ:
  - المطلَبُ الأَوَّلُ: سِمَاتُ الْخِطَابِ النَّبَوِيِّ.
  - المطلَبُ الثَّانِي: أَهَمِّيَّةُ الْعَدِّ فِي الْخِطَابِ النَّبَوِيِّ.
- المبحث الثاني: نَمَاذِجُ الْعَدِّ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، وَتَأَمُّلَاتٌ حَوْلَهُ، وفيه مَطْلَبَانِ:
  - المطْلَبُ الْأَوَّلُ: نَمَاذِجُ الْعَدِّ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ.
  - الْمَطْلَبُ الثَّانِي: تَأَمُّلَاتٌ حَوْلَ الْعَدِّ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ.
- الخاتمةُ: وفيها أَهَمُّ نتائِجِ البحثِ، وتَوْصِياتُهُ.

المبحث الأول: الْعَدُّ في كلام النُّبُوَّةِ

المطلب الأول: سِمَاتُ الْخِطَابِ النَّبَوِيِّ

تَمَيَّزَ كَلَامُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِصِفَاتٍ عَظِيمَةٍ، وَسِمَاتٍ عَالِيَةٍ، منها:

1. أَنَّ كَلَامَهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَشْرِيعٌ لِلْأُمَّةِ، قال -عز وجل-: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾.[1]
فَكَلَامُهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَحْيٌ سَاغَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَلْفَاظَهُ.
2. وَمِنْ سِمَاتِهِ: مَا ثَبَتَ عَنْهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قال: «أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ».[2]
3. سُمُوُّ بَلَاغَتِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَمُرَاعَاتُهُ لِأَحْوَالِ الْمُخَاطَبِينَ.
فَكَانَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُحَدِّثُ النَّاسَ بِحَسَبِ مَقَامِهِمْ، وَيَنْصَحُ كُلَّ أَحَدٍ بِمَا يَصْلُحُ لَهُ.
«وَيُخَاطِبُ كُلَّ قَوْمٍ بِلَحْنِهِمْ، وَعَلَى مَذْهَبِهِمْ، ثُمَّ لَا يَكُونُ إِلَّا أَفْصَحَهُمْ خِطَاباً، وَأَسَدَّهُمْ لَفْظاً، وَأَبْيَنَهُمْ عِبَارَةً».[3]
«يُحَدِّثُهُمْ كَمَا لَوْ أَنَّهُ مِنْهُمْ؛ لِتَقُومَ بِهِ الْحُجَّةُ، وَيَتَّضِحَ بُرْهَانُ رِسَالَتِهِ، وَتَكُونَ بَلَاغَتُهُ مِيزَةً لَهُ عَنْ سَائِرِ الْعَرَبِ».[4]
4. إِبْدَاعُهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِأَلْفَاظٍ لَمْ تُسْمَعْ مِنَ الْعَرَبِ قَبْلَهُ، وَلَمْ يَتَلَفَّظْ أَحَدٌ بِمِثْلِهَا؛ فِي حُسْنِ الْبَلَاغَةِ، وقُوَّةِ الدَّلَالَةِ؛ كَقَوْلِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ»،[5] و«الْآنَ حَمِيَ الْوَطِيسُ».[6][7]
5. بُعْدُهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنِ التَّكَلُّفِ، وَوُصُولُهُ إِلَى الْمَعْنَى بِأَسْهَلِ طَرِيقٍ، وَأَيْسَرِ سَبِيلٍ.
فَكَلَامُهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «مَطْبُوعٌ بِطَابَعِ السَّلِيقَةِ، مَسُوقٌ وَرَاءَ عَفْوِ الْخَاطِرِ؛ فِي صِيَاغَةٍ مُحْكَمَةٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ؛ تُيَسِّرُ لِلذِّهْنِ بُلُوغَ شَغَافِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ مِنْ أَيْسَرِ طَرِيقٍ، وَلَا تُشَتِّتُهُ عَنْهُ بَيْنَ تَعَارِيجِ الْأَلْفَاظِ، وَصِنَاعَةِ التَّزْوِيقِ وَالتَّأْلِيفِ».[8]

---

(1) سورة النجم، الآيتان 3-4.
(2) أخرجه مسلم في صحيحه، في أول كِتَابِ الـمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، (371/1)، حديث رقم (523)؛ من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.
(3) تاريخ آداب العرب؛ للرافعي، (187/2).
(4) إعجاز القرآن والبلاغة النَّبَوِيّة؛ للرافعي، ص284.
(5)أخرجه أحمد في المسند، مسند عَبْدِ اللهِ بْنِ عَتِيكٍ، (340/26)، حديث رقم (16414)، وضَعَّفَ إسنادَه محقِّقُو المسند.
(6) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، بَاب فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ، (1398/3)، حديث رقم (1775)؛ من حديث العباس -رضي الله عنه-.
(7) ينظر: تاريخ آداب العرب؛ للرافعي، (206/2).
(8) في الحديث الشريف والبلاغة النَّبَوِيّة؛ لمحمد سعيد رمضان البوطي، ص51.
وقد كان النَّبِيّ -صلى الله عليه وسلم- يكره التَّشدق، والتَّفيهق والثَّرثرة، ومشابهةَ الكهّان في أسجاعهم، وفي الحديث: «وإنَّ أبغضكم إليَّ، وأبعدكم منّي مجلساً يوم القيامة الثَّرثارون، والمتشدّقون، والمتفيهقون»، قالوا: يا رسول الله؛ قد علمنا: (الثَّرثارون والمتشدّقون)، فما: (المتفيهقون)؟ قال: «الـمُتكبّرون»، أخرجه التِّرمذيّ في كتاب أبواب البر والصلة، بَابُ مَا جَاءَ فِي مَعَالِي الأَخْلَاق، (370/4)، حديث رقم (2018)؛ من حديث جابرٍ -رضي الله عنه-.

6. الدِّقَّةُ فِي تَبْلِيغِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ، وَالسَّلَامَةُ مِنَ التَّنَاقُضِ فِي الْأَفْكَارِ، وَالتَّنَافُرِ فِي الْأَحْكَامِ؛ إِذْ كَلَامُهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُسْتَمَدٌّ مِنْ نُورِ الْقُرْآنِ.
7. جَمْعُهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَيْنَ حُسْنِ الْمَنْطِقِ وَغَزَارَةِ الْمَعْنَى، وَبَيْنَ سَلَاسَةِ الْأَلْفَاظِ وَجَزَالَةِ الْأَفْكَارِ؛ فَيَصُوغُ أَلْفَاظَهُ «حِكَماً مُرْسَلَةً؛ فِي أَلْفَاظٍ مُضِيئَةٍ؛ كَالنَّجْمِ، يَبْدُو عَلَيْهَا جَلَالُ النُّبُوَّةِ، وَأَثَرُ الْإِلْهَامِ، وَحَلَاوَةُ الصِّدْقِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ يُرْسِلُ كَلَامَهُ فَيْضَ الخَاطِرِ، وَعَفْوَ الْبَدِيهَةِ؛ دُونَ سَابِقِ تَحْضِيرٍ وَلَا تَفْكِيرٍ».[1]
8. وُضُوحُ عِبَارَاتِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِأَجْلِ إِفْهَامِ السَّامِعِ.
فَمِنْ سِمَاتِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- التَّفْصِيلُ فِي الْقَوْلِ، وَالْإِبَانَةُ فِي الْأَدَاءِ، وَالدِّقَّةُ فِي التَّعْبِيرِ؛ مَعَ الْإِيجَازِ، وَحُسْنِ الْبَيَانِ.
فَكَانَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ يُبَيِّنُهُ، فَصْلٌ، يَحْفَظُهُ مَنْ جَلَسَ إِلَيْهِ».[2]
وكَانَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثاً؛ حَتَّى يُفْهَمَ عَنْهُ».[3]

9. تَنَوُّعُ أَسَالِيبِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي إِيضَاحِ الْمَعْنَى وَتَقْرِيرِهِ؛ مِنَ التَّنْبِيهِ، وَالتَّكْرَارِ، وَالتَّأْكِيدِ، وَالْقَسَمِ، وَبَرَاعَةِ التَّفْصِيلِ، وَحُسْنِ التَّمْثِيلِ، وَاسْتِعْمَالِ الْعَدِّ والْعَدَدِ، وَصَوْغِ الْأَسْئِلَةِ، وَالْإِشَارَةِ بِالْيَدِ... وَغَيْرِ ذَلك؛ مِمَّا يُعِينُ عَلَى إِدْرَاكِ الْمَعْنَى، وَفَهْمِ الْخِطَابِ.

المطلب الثاني: أهمية العَدِّ في الْخِطَاب النَّبَوِيّ:

تَكْمُنُ أَهَمِّيَّةُ الْعَدِّ فِي الْخِطَابِ النَّبَوِيّ فِي النِّقَاطِ التَّالِيَةِ:

1. أَنَّ هَذِهِ الْأَعْدَادَ هِيَ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ؛ فَهِيَ وَحْيٌ مِنَ اللهِ -جَلَّ وَعَلَا-، وَلِذَا فَهِيَ مُنَزَّهَةٌ عَنِ الْخَطَأِ والزَّلَلِ.
2. التَّنْبِيهُ وَالتَّشْوِيقُ لِلْمَعْدُودِ فِي الحديثِ؛ لِيَتَهَيَّأَ السَّامِعُ لَهُ، وَيَسْتَوْعِبَهُ، وَيَسْعَى إِلَى تَحْصِيلِهِ وَفَهْمِهِ، ثُمَّ تَطْبِيقِهِ عَلَى مَسَائِلِ الدِّينِ.
3. أَنَّهُ وَسِيلَةٌ فَعَّالَةٌ لِلتَّمَكُّنِ مِنْ حِفْظِ الحديثِ واسْتِذْكَارِهِ، فَلَوْ سَقَطَ شَيْءٌ مِنْهُ سَعَى إِلَى تَدَارُكِهِ، شَأْنُهُ في ذلك شَأْنُ حِفْظِ الْمَنْظُومَاتِ الشِّعْرِيَّةِ؛ فِي الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ وغَيْرِهَا.
4. أَنَّ النَّاسَ تَرْتَبِطُ أَذْهَانُهُمْ بِالْقَلِيلِ مِنَ الْأَعْدَادِ؛ تَسْهِيلاً لِضَبْطِهَا وَاسْتِحْضَارِهَا عِندَ الحاجَةِ.
5. وقد كَانَ الصَّحَابَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَيُجِيبُهُمْ؛ فَيَكْتَفُونَ بِالثَّالِثِ مِنَ الْجَوَابِ، وَلَا يَزِيدُونَ عَلَى ذَلِكَ فِي الْغَالِبِ.
مِثَالُ ذَلِكَ: حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا»، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ»، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ، وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي.[4] والْأَمْثِلَةُ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جِدّاً.
6. أَنَّ الْأَعْدَادَ الْقَلِيلَةَ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيّ تُقَرِّبُ الْمَعَانِيَ إِلَى أَذْهَانِ السَّامِعِينَ، وَتُثِيرُ اهْتِمَامَهُمْ وَتُوقِظُ مَشَاعِرَهُمْ؛ لِلتَّأَمُّلِ فِي الْمَعْدُودِ، وَإِيجَادِ وَجْهِ الشَّبَهِ بَيْنَ أَفْرَادِهِ، وَهَلْ يُفِيدُ الْحَصْرَ وَالتَّحْدِيدَ؟ أَمْ يُفِيدُ التَّمْثِيلَ وَالتَّقْرِيبَ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَمِنْ ثَمَّ امْتِثَالُ الْخِطَابِ النَّبَوِيّ؛ بِتَصْدِيقِهِ إِنْ كَانَ خَبَراً، وَتَطْبِيقِهِ إِنْ كَانَ طَلَباً.
فَالْعَدُّ فِي الْخِطَابِ النَّبَوِيّ وَسِيلَةٌ فَعَّالَةٌ لِلتَّفَاذِ إِلَى قَلْبِ الْمُسْلِمِ، وَظُهُورِ آثَارِهِ عَلَى أَعْمَالِهِ وَجَوَارِحِهِ.

(1) في الحديث الشريف والبلاغة النبويَّة؛ لمحمد سعيد رمضان البوطي، ص48.
(2) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، بَابٌ فِي كَلَامِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، (600/5)، حديث رقم (3639)، من حديث عائشةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، وقال الترمذي عَقِبَهُ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».
(3) أخرجه البخاريُّ في كتاب العلم، بَابُ مَنْ أَعَادَ الحَدِيثَ ثَلاَثاً لِيُفْهَمَ عَنْهُ، (30/1)، حديث رقم (94)، من حديث أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(4) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، بَابُ فَضْلِ الصَّلاَةِ لِوَقْتِهَا، (112/1)، حديث رقم (527)، ومسلم في كتاب الإيمان، بَاب بَيَانِ كَوْنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ -تَعَالَى- أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ، (89/1)، حديث رقم (85).

المبحث الثاني: نماذج العد في الحديث النَّبَوِيّ، وتأملات حوله

المطلب الأول: نماذج العد في الحديث النَّبَوِيّ

1. عن أبي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «لَا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابّاً فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا، وَطُولِ الْأَمَلِ».[1]
2. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ».[2]
3. عَن ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا».[3]
4. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ؛ فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ؛ فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ».[4]
5. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى».[5]
6. عَنْ بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ثَلَاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَالْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ؛ إِذَا أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ؛ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا؛ فَتَزَوَّجَهَا؛ فَلَهُ أَجْرَانِ».[6]
7. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: «أَوْصَانِي خَلِيلِي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِثَلَاثٍ: لَا أَدَعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ: صَوْمِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلَاةِ الضُّحَى، وَنَوْمٍ عَلَى وِتْرٍ».[7]
8. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ».[8]
9. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا؛ فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ؛ تَرِبَتْ يَدَاكَ».[9]
10. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -فَبَدَأَ بِهِ-، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ».[10]

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، بَابُ مَنْ بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً فَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي العُمُر، (89/8)، حديث رقم (6420).
(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة، (82/1)، حديث رقم (67).
(3) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب العلم، بَاب الِاغْتِبَاطِ فِي الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، وَقَالَ عُمَرُ -رضي الله عنه-: «تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوَّدُوا»، (108/2)، حديث رقم (1409)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقهٍ أو غيره فعمل بها و علّمها، (559/1)، حديث رقم (816).
(4) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، (107/8)، حديث رقم (65149، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب (فقط)، (2273/4)، حديث رقم (2960).
(5) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، بَاب فَضْلِ الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، (60/2)، حديث رقم (1189)، ومسلم في كتاب الحج، مَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَيْهِ مِنَ الْمَسَاجِدِ، (1014/2)، حديث رقم (1397).
(6) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، بَابُ تَعْلِيمِ الرَّجُلِ أَمَتَهُ وَأَهْلَهُ، (31/1)، برقم (97).
(7) متفق عليه، أخرجه البخاري -واللفظ له- في كتاب الصوم، بَابُ صِيَامِ أَيَّامِ البِيضِ: ثَلاَثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ، (41/3)، حديث رقم (1981)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بَاب اسْتِحْبَابِ صَلَاةِ الضُّحَى، وَأَنَّ أَقَلَّهَا رَكْعَتَانِ، وَأَكْمَلَهَا ثَمَانِ رَكَعَاتٍ، وَأَوْسَطَهَا أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ أَوْ سِتٍّ، وَالْحَثِّ عَلَى الْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا (499/1)، حديث رقم (721).
(8) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، (16/1)، حديث رقم (34)، ومسلم في كتاب الإيمان، بَابث بَيَانِ خِصَالِ الْمُنَافِقِ، (78/1)، حديث رقم (58).
(9) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب النكاح، بَابُ الأَكْفَاءِ فِي الدِّينِ، (7/7)، حديث رقم (5090)، ومسلم في كتاب الرضاع، بَابُ اسْتِحْبَابِ نِكَاحِ ذَاتِ الدِّينِ، (1086/2)، حديث رقم (1466).
(10) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتابِ أصحابِ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم، بَابُ مَنَاقِبِ سَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، (27/5)، حديث رقم (3758)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة -رضي الله تعالى عنهم-، باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه - رضي الله عنهما-، (1913/4)، حديث رقم (2464).

11. عَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ».[1]
12. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «الفِطْرَةُ خَمْسٌ: الخِتَانُ، وَالاِسْتِحْدَادُ، وَنَتْفُ الإِبْطِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ».[2]
13. عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ كُلُّهَا فَوَاسِقُ، تُقْتَلُ فِي الْحَرَمِ: الْغُرَابُ، وَالْحِدَأَةُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ، وَالْعَقْرَبُ، وَالْفَأْرَةُ».[3]
14. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : «فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُوراً وَمَسْجِداً، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ».[4]
15. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ سِتٌّ»، قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ».[5]
16. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتّاً: الدَّجَّالَ، وَالدُّخَانَ، وَدَابَّةَ الْأَرْضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ، وَخُوَيْصَّةَ[6] أَحَدِكُمْ».[7]
17. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ؛ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ؛ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ؛ أَخْفَى؛ حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ».[8]
18. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصِنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ».[9]
19. عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ: أَمَرَنَا بِعِيَادَةِ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الجِنَازَةِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَإِفْشَاءِ السَّلاَمِ، وَنَصْرِ المَظْلُومِ، وَإِبْرَارِ المُقْسِمِ، وَنَهَانَا عَنْ خَوَاتِيمِ الذَّهَبِ، وَعَنِ الشُّرْبِ فِي الفِضَّةِ -أَوْ قَالَ: آنِيَةِ الفِضَّةِ- وَعَنِ المَيَاثِرِ،[10] وَالقَسِّيِّ،[11] وَعَنْ لُبْسِ الحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ،[12] وَالإِسْتَبْرَقِ[13]».[14]

---

(1) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، بَاب الْإِيمَانِ، وَقَوْلُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ..»، (11/1)، حديث رقم (8)، ومسلم في كتاب الإيمان، بَاب بَيَانِ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَدَعَائِمِهِ الْعِظَامِ، (45/1)، حديث رقم (16).

(2) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب قص الشارب، (160/7)، حديث رقم (5889)، ومسلم في كتاب الطهارة، بَاب خِصَالِ الْفِطْرَةِ، (221/1)، حديث رقم (257).

(3) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب جزاء الصيد، بَابُ مَا يَقْتُلُ الْمُحْرِمُ مِنَ الدَّوَابِّ، (13/3)، حديث رقم (1829)، وأخرجه مسلم في كتاب الحج، بَاب مَا يَنْدُبُ لِلْمُحْرِمِ وَغَيْرِهِ قَتْلُهُ مِنَ الدَّوَابِّ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ، (856/2)، حديث رقم (1198).

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، في أول كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، (371/1)، حديث رقم (523).

(5) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الآداب، بَاب مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ لِلْمُسْلِمِ رَدُّ السَّلَامِ، (1704/4)، حديث رقم (2162).

(6) تصغير خاصة؛ أي: حادثة خاصة بأحدكم، وهى الموت. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر؛ لابن الأثير (37/2).

(7) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، بَاب فِي بَقِيَّةٍ مِنْ أَحَادِيثِ الدَّجَّالِ، (2267/4)، حديث رقم (2947).

(8) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الأذان، بابُ مَنْ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ، وَفَضْلِ الْمَسَاجِدِ، (133/1)، حديث رقم (660)، ومسلم في كتاب الزكاة، بَاب فَضْلِ إِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ، (715/2)، حديث رقم (1031).

(9) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً، إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾، (10/4)، حديث رقم (27669، ومسلم في كتاب الإيمان، بَاب بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا، (92/1)، حديث رقم (89).

(10) المياثر: وِطَاءٌ يُوضَعُ عَلَى سُرُجِ الدَّابَّةِ؛ مِنَ الْفَرَسِ وَالْبَعِيرِ، وَهِيَ مِنْ مَرَاكِبِ الْعَجَمِ، تُعْمَلُ مِنْ حَرِيرٍ أَوْ دِيباج. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، (150/5).

(11) القَسِّيُّ: «ثِيَابٌ مِنْ كَتَّانٍ، مَخْلوطٍ بحَرِيرٍ، يُؤتَى بِهَا مِنْ مِصْرَ، نُسِبَتْ إلى قَرْيةٍ على شاطئ الْبَحْرِ؛ يُقَالُ لَهَا: القَسُّ؛ بِفَتْحِ الْقَافِ، وَبَعْضُ أَهْلِ الْحَدِيثِ يكْسِرها»، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (59/4).

(12) الديباج: «الثِّيابُ المُتَّخذة مِنَ الإبْرِيسَم، فَارسِيٌّ مُعرَّبٌ، وَقَدْ تُفْتَحُ دالُه، ويُجْمَع عَلَى: دَيَابِيجَ ودَبَابِيجَ بِالْيَاءِ وَالْبَاءِ؛ لِأَنَّ أَصْلَهُ دبَّاجٌ»، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (97/2).

(13) الإستبرق: «هُوَ مَا غَلُظ مِنَ الْحَرِير والإبْرَيْسَم، وَهِيَ لَفْظَةٌ أَعْجَمِيَّةٌ مُعَرَّبة»، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (47/1).

(14) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، بَابُ آنِيَةِ الفِضَّةِ، (113/7)، حديث رقم (5635)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، بَاب تَحْرِيمِ اسْتِعْمَالِ إِنَاءِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، (1635/3)، حديث رقم (2066).

المطلب الثاني: تَأَمُّلاتٌ حول الْعَدِّ فِي الحديث النَّبَوِيِّ

1. أَنَّ هذه الأحاديثَ الَّتِي وَرَدَ فيها عَدٌّ شَأْنُهَا شَأْنُ الْأَحَادِيثِ الْأُخْرَى؛ منها الصحيحُ، ومنها الضعيفُ، وِمِنْهَا الْقُدُسِيُّ، ومنها المرفوعُ إلى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَفْظاً أَوْ حُكْماً.
فمِثَالُ الصحيحِ والمرفوعِ بِنَوْعَيْهِ: مَا ذُكِرَ في نماذِجِ المطلَبِ السَّابِقِ.
ومِثَالُ الضعيفِ: ما رُوِيَ عن عبدِ الله بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- مَرْفُوعاً: «سَبْعَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَيَقُولُ: ادْخُلُوا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ: الْفَاعِلُ وَالْمَفْعُولُ بِهِ، وَالنَّاكِحُ يَدَهُ، وَنَاكِحُ الْبَهِيمَةِ، وَنَاكِحُ الْمَرْأَةِ فِي دُبُرِهَا، وَجَامِعٌ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَابْنَتِهَا، وَالزَّانِي بِحَلِيلَةِ جَارِهِ، وَالْمُؤْذِي لِجَارِهِ حَتَّى يَلْعَنَهُ».[1]
وَمِثَالُ الْقُدُسِيِّ: مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرّاً فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيراً فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ».[2]
2. أَنَّ الْأَعْدَادَ فِي الْأَحَادِيثِ شَمِلَتْ مُعْظَمَ مَسَائِلِ الدِّينِ؛ مِنَ الْغَيْبِيَّاتِ، والْقَصَصِ النَّبَوِيِّ، وَخَصَائِصِ النُّبُوَّةِ، وَفَضَائِلِ الصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- وَأَعْمَالِ الْقُلُوبِ، وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ، وَأَحْكَامِ التَّشْرِيعِ... وَغَيْرِهَا.
3. غَالِباً مَا يُذْكَرُ الْعَدَدُ مُصَرَّحاً بِهِ أَوّلاً قَبْلَ الْمَعْدُودِ، وَذَلِكَ لِإِثَارَةِ وَتَشْوِيقِ السَّامِعِ إِلَى الِاهْتِمَامِ بِمَضَامِينِ هَذَا الْعَدَدِ.
مِثَالُ ذَلِكَ: الْأَحَادِيثُ الَّتِي تَقَدَّمَتْ فِي الْمَطْلَبِ السَّابِقِ؛ فَقَدْ ذُكِرَتْ فِيهَا الْأَعْدَادُ صَرَاحَةً؛ كَالِاثْنَيْنِ، وَالثَّلَاثَةِ، وَالْأَرْبَعَةِ، وَنَحْوِهَا.
وَقَدْ لَا يُصَرَّحُ بِذِكْرِ الْعَدَدِ؛ كَأَنْ يُسْأَلَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ شَيْءٍ فَيُجِيبَ بِثَلَاثَةِ أُمُورٍ.
مِثَالُ ذَلِكَ: مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: سَأَلْتُ - أَوْ سُئِلَ- رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ اللَّهِ أَكْبَرُ، قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدّاً وَهُوَ خَلَقَكَ»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ»، قَالَ: وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ تَصْدِيقاً لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ﴾.[3]
4. هَلْ هَذِهِ الْأَعْدَادُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْأَحَادِيثِ تُفِيدُ الْحَصْرَ أَمْ لَا؟
هَذَا السُّؤَالُ مَبْنِيٌّ عَلَى مَسْأَلَةٍ أُصُولِيَّةٍ مَشْهُورَةٍ؛ تُسَمَّى: [مَسْأَلَةَ مَفْهُومِ الْعَدَدِ].
وَهُوَ مُصْطَلَحٌ أُصُولِيٌّ؛ مَعْنَاهُ: [تَعْلِيقُ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ بِعَدَدٍ مُعيَنٍ مَخْصُوصٍ].[4]
وَهِيَ مَحَلُّ خِلَافٍ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ.
بِمَعْنَى: هَلْ تَقْيِيدُ الْحُكْمِ بِعَدَدٍ مَخْصُوصٍ يَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ ذَلِكَ الْحُكْمِ الْمُعَيَّنِ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ الْعَدَدِ الْمَخْصُوصِ؟ أَمْ لَا يَدُلُّ؟
وَمَذْهَبُ الْجُمْهُورِ: الْقَوْلُ بِحُجِّيَّةِ مَفْهُومِ الْعَدَدِ؛ لِئَلّا يَخْلُوَ ذِكْرُ الْعَدَدِ مِنْ فَائِدَةٍ.[5]
لَكِنَّ مَحَلَّ الْخِلَافِ بَيْنَهُمْ فِيمَا إِذَا لَمْ تُوجَدْ قَرِينَةٌ تَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ الْحُكْمِ عَمَّا سِوَى الْمَذْكُورِ، أَوْ عَدَمِ انْتِفَائِهِ.
فَإِذَا وُجِدَتْ قَرِينَةٌ فَلَا اعْتِبَارَ بِمَفْهُومِ الْعَدَدِ بِاتِّفَاقٍ.
وَمِثَالُ الْقَرِينَةِ عَلَى انْتِفَاءِ الْحُكْمِ عَمَّا سِوَى الْمَذْكُورِ: أَنْ يَرِدَ لَفْظٌ مِنْ أَلْفَاظِ الْحَصْرِ مُؤَكَّداً فِي الْحَدِيثِ؛ كَحَدِيثِ: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ -عَلَيْهِ السَّلَام- قَطُّ؛ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ...»؛ الْحَدِيثَ.[6] فَقَوْلُهُ: «قَطُّ» تَأْكِيدٌ لِلنَّفْيِ؛ فَيُفِيدُ الْحَصْرَ فِي الْعَدَدِ الْمَذْكُورِ.
وَمِثَالُ الْقَرِينَةِ عَلَى عَدَمِ انْتِفَاءِ الْحُكْمِ عَمَّا سِوَى الْمَذْكُورِ: أَنْ يُرَادَ بِالْعَدَدِ التَّكْثِيرُ.[7]
أَوْ يُطْلَقَ الْحُكْمُ فِي نَصٍّ آخَرَ عَلَى أَفْرَادٍ غَيْرِ الْمَذْكُورِينَ فِي النَّصِّ الْأَوَّلِ.

---

(1) أخرجه الآجُرِّيُّ في ذم اللواط، بَابُ السُّنَنِ وَالْآثَارِ الَّتِي حَرَّمَتْ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ؛ مِنْ إِتْيَانِ الرَّجُلِ الرَّجُلَ، ص72، حديث رقم (73)، وابن بشران في أماليه، ص 206، حديث رقم (477)، وفي سنده عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، وهو وشيخه عبد الله بن لهيعة ضعيفان، ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة: محمد ناصر الدين الألباني، (490/1)، حديث رقم (319).
(2) صحيح البخاري، كتاب البيوع، بَابُ إِثْمِ مَنْ بَاعَ حُرّاً، (82/3)، حديث رقم (2227).
(3) صحيح البخاري، كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ﴾، (109/6)، حديث رقم (4761).
(4) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه؛ للزركشي (123/3)، وإرشاد الفحول؛ للشوكاني (44/2).
(5) ينظر: مختصر التحرير شرح الكوكب المنير؛ لابن النجار (508/3)، وإرشاد الفحول؛ للشوكاني (44/2).
(6) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾، (141/4)، حديث رقم (3358)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم، (1840/4)، حديث رقم (2371).
(7) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه؛ للزركشي (124/3).

مِثَالُهُ: مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى؛ وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ؛ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ؛ فَيَقُولُ اللَّهُ: الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي؛ كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ»؛[1] فَقَدْ جَاءَ عِنْدَ مُسْلِمٍ: عَنْ أَبِي ذَرٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»: قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثَلاَثاً مِرَاراً، قَالَ أَبُو ذَرٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «المُسْبِلُ، وَالمَنَّانُ، وَالمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ».[2] وَعِنْدَ مُسْلِمٍ -أَيْضاً-: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ».[3]

5. وَيَتَفَرَّعُ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَنَّهُ قَدْ تَخْتَلِفُ الرِّوَايَاتُ فِي ذِكْرِ الْعَدَدِ وَالْمَعْدُودِ.

مِثَالُهُ: حَدِيثُ: «أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي...»؛ الحَدِيثَ.[4]

قال الحافِظُ ابْنُ حَجَر -رحمه الله- عِندَ شَرْحِهِ لِهَذا الحديثِ: «وَمَفْهُومُهُ: أَنَّهُ لَمْ يَخْتَصَّ بِغَيْرِ الْخَمْسِ المَذْكُورَةِ، لَكِنْ رَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- مَرْفُوعاً: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ»؛ فَذَكَرَ أَرْبَعاً مِنْ هَذِهِ الْخَمْسِ، وَزَادَ اثْنَتَيْنِ... وَطَرِيقُ الْجَمْعِ أَنْ يُقَالَ: لَعَلَّهُ اطَّلَعَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَوَّلاً عَلَى بَعْضِ مَا اخْتُصَّ بِهِ، ثُمَّ اطَّلَعَ عَلَى الْبَاقِي، وَمَنْ لَا يَرَى مَفْهُومَ الْعَدَدِ حُجَّةً يَدْفَعُ هَذَا الْإِشْكَالَ مِنْ أَصْلِهِ».[5]

6. هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَى الْعَدِّ قَدْ تَأْتِي عَلَى هَيْئَةِ أَجْوِبَةٍ لِأَسْئِلَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- وَقَدْ تَأْتِي ابْتِدَاءً مِنَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ، وَقَدْ مَرَّتْ مَعَنَا أَمْثِلَةٌ لِذَلِكَ فِي كِلَا النَّوْعَيْنِ.

7. قَدْ يُضِيفُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِشَارَةً بِأَصَابِعِهِ إِلَى الْقَوْلِ؛ كَحَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سُئِلَ: مَاذَا يُتَّقَى مِنَ الضَّحَايَا؟ فَأَشَارَ بِيَدِهِ؛ وَقَالَ: «أَرْبَعاً»، وَكَانَ الْبَرَاءُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يُشِيرُ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ: يَدِي أَقْصَرُ مِنْ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «الْعَرْجَاءُ الْبَيِّنُ ظَلْعُهَا، وَالْعَوْرَاءُ الْبَيِّنُ عَوَرُهَا، وَالمَرِيضَةُ الْبَيِّنُ مَرَضُهَا، وَالْعَجْفَاءُ الَّتِي لاَ تُنْقِي».[6]

8. هَذِهِ الْمَعْدُودَاتُ الَّتِي تُذْكَرُ فِي الْأَحَادِيثِ غَالِباً مَا تَجْمَعُ بَيْنَ الْمُتَمَاثِلَاتِ؛ لِإِثَارَةِ الذِّهْنِ فِي الرَّبْطِ بَيْنَهَا، وَلِتَأَمُّلِ أَوْجُهِ الشَّبَهِ فِيهَا، وَلِإِلْحَاقِ مَا يُمَاثِلُهَا بِهَا.

مِثَالُ ذَلِكَ: مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»،[7] فَأَوْجُهُ الشَّبَهِ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ: أَنَّ «كُلّاً مِنْهُم الْتَزَمَ الْمَعْصِيَةَ مَعَ عَدَمِ ضَرُورَتِهِ إِلَيْهَا، وَضَعْفِ دَاعِيَتِهَا عِنْدَهُ؛ فَأَشْبَهَ إِقْدَامُهُمْ عَلَيْهَا الْمُعَانَدَةَ، وَالِاسْتِخْفَافَ بِحَقِّ اللهِ، وَقَصْدَ مَعْصِيَتِهِ؛ لَا لِحَاجَةٍ غَيْرِهَا».[8]

(1) صحيح البخاري، كتاب المساقاة، بَابُ مَنْ رَأَى أَنَّ صَاحِبَ الحَوْضِ وَالقِرْبَةِ أَحَقُّ بِمَائِهِ، (112/3)، حديث رقم (2369)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَاب بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ إِسْبَالِ الْإِزَارِ، وَالمَنِّ بِالْعَطِيَّةِ، وَتَنْفِيقِ السِّلْعَةِ بِالْحَلِفِ، وَبَيَانِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، (103/1)، حديث رقم (108).

(2) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَاب بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ إِسْبَالِ الْإِزَارِ، وَالمَنِّ بِالْعَطِيَّةِ، وَتَنْفِيقِ السِّلْعَةِ بِالْحَلِفِ، وَبَيَانِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، (102/1)، حديث رقم (106).

(3) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَاب بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ إِسْبَالِ الْإِزَارِ، وَالمَنِّ بِالْعَطِيَّةِ، وَتَنْفِيقِ السِّلْعَةِ بِالْحَلِفِ، وَبَيَانِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، (102/1)، حديث رقم (107).

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، في أول كِتَاب المَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، (371/1)، حديث رقم (521).

(5) فتح الباري؛ لابن حجر (436/1).

(6)أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الضحايا، باب مَا يُنْهَى عَنْهُ مِنَ الضَّحَايَا، (687/3)، حديث رقم (470).

(7) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَاب بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ إِسْبَالِ الْإِزَارِ، وَالمَنِّ بِالْعَطِيَّةِ، وَتَنْفِيقِ السِّلْعَةِ بِالْحَلِفِ، وَبَيَانِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، (102/1)، حديث رقم (107).

(8) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج؛ لجلال الدين السيوطي، (122/1).

الخاتمة:

في خِتَامِ هَذَا الْبَحْثِ نَقِفُ على جُمْلَةٍ مِنَ الْحَقَائِقِ وَالنَّتَائِجِ، ونَذْكُرُ جُمْلَةً مِنَ التَّوْصِيَاتِ؛ عَلَى النَّحْوِ التَّالِي:

أولا: النتائج:

1. أَنَّ لِلْعَدِّ فِي الْخِطَابِ النَّبَوِيِّ أَهَمِّيَّةً بَالِغَةً، تَتَمَثَّلُ فِي تَنْبِيهِ السَّامِعِ وَتَشْوِيقِهِ لِلْمَعْدُودِ.
2. أَنَّ الْأَعْدَادَ الْقَلِيلَةَ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ تُقَرِّبُ الْمَعَانِيَ إِلَى أَذْهَانِ السَّامِعِينَ، وَتُثِيرُ اهْتِمَامَهُمْ.
3. أَنَّ الْعُلَمَاءَ قَدِ اخْتَلَفُوا فِي حُجِّيَّةِ مَفْهُومِ الْعَدَدِ، وَأَنَّ الرَّاجِحَ هُوَ الْقَوْلُ بِحُجِّيَّتِهِ؛ لِئَلَّا يَخْلُوَ ذِكْرُ الْعَدَدِ مِنْ فَائِدَةٍ، وَأَنَّ مَحَلَّ الْخِلَافِ بَيْنَهُمْ: فِيمَا إِذَا لَمْ تُوجَدْ قَرِينَةٌ تَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ الْحُكْمِ عَمَّا سِوَى الْمَذْكُورِ أَوْ عَدَمِ انْتِفَائِهِ، فَإِذَا وُجِدَتْ قَرِينَةٌ فَلَا اعْتِبَارَ بِمَفْهُومِ الْعَدَدِ بِاتِّفَاقٍ.
4. هَذِهِ الْمَعْدُودَاتُ الَّتِي تُذْكَرُ فِي الْأَحَادِيثِ غَالِباً مَا تَجْمَعُ بَيْنَ الـمُتَمَاثِلَاتِ؛ لِإِثَارَةِ الذِّهْنِ فِي الرَّبْطِ بَيْنَهَا، وَلِتَأَمُّلِ أَوْجُهِ الشَّبَهِ فِيهَا.

ثانياً: التوصيات:

1. تَعْرِيفُ النَّاسِ بِأَهَمِّيَّةِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، وَلَفْتُ أَنْظَارِهِمْ لِلْعِنَايَةِ بِهَا، وَالِاشْتِغَالِ بِعُلُومِهَا؛ لِيَرْبَحُوا سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ.
2. تَعْلِيمُ النَّاشِئَةِ حُسْنَ الِاقْتِدَاءِ بالنَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي شُؤُونِهِ كُلِّهَا؛ لَا سِيَّمَا فِي خِطَابِهِ، وَدَعْوَتِهِ، وَإِقْنَاعِهِ لِلْآخَرِينَ.
3. تَحْفِيزُ الْجِهَاتِ الْمَعْنِيَّةِ بِالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ –كَالجَامِعَاتِ، وَمَرَاكِزِ الْبُحُوثِ الْعِلْمِيَّةِ، وَهَيْئَاتِ الْأَوْقَافِ وَالشُّؤُونِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالدَّعْوَةِ وَالْإِرْشَادِ - لِإِقَامَةِ الْمُؤْتَمَرَاتِ الْعِلْمِيَّةِ؛ الَّتِي تُعْنَى بِبَيَانِ الْخِطَابِ النَّبَوِيِّ، وَاسْتِنْبَاطِ الْفَوَائِدِ مِنْهُ فِي شَتَّى الْمَجَالَاتِ؛ اللُّغَوِيَّةِ، وَالدَّعَوِيَّةِ، وَالْفِقْهِيَّةِ، وَالسِّيَاسِيَّةِ،... وَغَيْرِهَا.
4. حَثُّ الدُّعَاةِ وَطَلَبَةِ الْعِلْمِ عَلَى التَّأْلِيفِ فِي مَكَانَةِ الْعَدِّ فِي الْخِطَابِ النَّبَوِيِّ، وَإِظْهَارِ مَقَاصِدِهِ وَأَغْرَاضِهِ، وَدَوْرِهِ فِي التَّأْثِيرِ عَلَى السَّامِعِينَ.

هَذَا مَا تَيَسَّرَ جَمْعُهُ فِي هَذَا الْبَحْثِ.

واللهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا محمّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

قائمة المراجع

1. إعجاز القرآن والبلاغة النَّبَوِيّة: مصطفى صادق الرافعي. دار الكتاب العربي، بيروت، ط9، 1393ه.
2. أمالي ابن بشران: أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشْران البغدادي [ت430ه]. تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، 1418ه-1997م.
3. البحر المحيط في أصول الفقه: بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي [ت794ه]. تحقيق: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1421ه-2000م.
4. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن الشوكاني اليمني [ت1250ه]. دار المعرفة، بيروت.
5. البيان والتبيين: عمرو بن بحر الجاحظ. تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السابعة، 1418ه-1988م.
6. تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعي. دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، 1394ه-1974م.
7. الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني [ت852هـ]. تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر آباد، الهند، الطبعة الثانية، 1392ه-1972م.
8. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج: جلال الدين السيوطي [ت911ه]. تحقيق: أبي إسحاق الحويني، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، الخبر، الطبعة الأولى، 1416ه-1996م.
9. ذم اللواط: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرّيُّ البغدادي [ت360هـ]. تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.
10. زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن قيم الجوزية [ت751هـ]. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة 27، 1415ه-1994م.
11. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وأثرها السيئ في الأمة: محمد ناصر الدين الألباني. دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، 1412ه- 1992م.
12. سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي [ت279ه]. تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، 1395ه-1975م.
13. صحيح البخاري [الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه]: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى 1422ه.
14. صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
15. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1379ه.
16. في الحديث الشريف والبلاغة النَّبَوِيّة: محمد سعيد رمضان البوطي. دار الفكر، دمشق، ط1، 1432ه.
17. مختصر التحرير شرح الكوكب المنير: أبو البقاء الفتوحي، المعروف بابن النجار الحنبلي [ت972هـ]. تحقيق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية، 1418ه-1997م.
18. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني [ت241ه]. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، وآخرون. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1421ه-2001م.
19. الموطأ: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني [ت179ه]. تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، أبو ظبي، الإمارات، الطبعة الأولى، 1425ه-2004م.
20. النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري. تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399ه-1979م.

The numbers in the words of Muhammad, may God bless him and grant him peace, are examples and reflections

Ibrahim Salem Thaboot
Al-Asmariya Islamic University, Interpretation and Hadith, Libya
eb.thbot@asmara.edu.ly

Article information	Abstract
Key words Count ، preparation ، Prophetic speech ،Models ، Reflections**.**	Abstract: Numerical References in the Speech of the Best of Creation The Prophetic discourse is distinguished by numerous characteristics and unique features. Consequently, scholars have devoted considerable attention and care to its words, meticulously documenting the noble Prophetic traditions and deriving legal rulings from them. One notable aspect observed in the Hadiths of the Prophet ﷺ is his use of numbers and numerical expressions in speech, particularly smaller numbers such as two, three, four, five, six, and seven. In this study, I have highlighted the most significant features of Prophetic discourse and emphasized the importance of numerical references within Prophetic speech. Furthermore, I compiled a selection of Prophetic Hadiths that include mentions of numbers, providing reflections and observations on these numerical references. The study concludes with several findings, the most important of which are: 1. The speech of the Prophet ﷺ is characterized by profound qualities and remarkable traits. 2. Numerical references in Prophetic discourse play a significant role in capturing the listener's attention, sparking curiosity about the content associated with the numbers, encouraging the pursuit of understanding, and simplifying concepts for the audience. This approach effectively stimulates their interest and emotions. 3. The numbers mentioned in the Hadiths encompass a wide range of religious topics, including matters of the unseen, Prophetic narratives, encouragement and deterrence, legal rulings, and more. 4. These numerical references often group similar items to provoke intellectual reflection and to explore connections and similarities between them. The study recommends the following: • Raising awareness about the importance of the Prophetic Sunnah and educating younger generations on emulating the Prophet ﷺ in his speech and methods of calling to Allah, persuasion, and effective communication. • Encouraging relevant institutions to organize scientific seminars that focus on Prophetic discourse and extract its benefits in various fields. • Motivating scholars and students of knowledge to author works on the role of numbers in Prophetic discourse, clarifying their purposes and objectives, and demonstrating their impact on listeners